

## امرأة جميع الأجيال تطوبها

(Arabic - All generations will call me blessed.)

أحبائي.. حديثنا اليوم مَوْضُوعُهُ: امرأة جميع الأجيال تطوبها

ومن إنجيل لوقا الأصحاح الأول نقرأ الأعداد من السادس والأربعين إلى الثامن والأربعين:

" فقالت مريم تعظم نفسي الرب. وتبتهج رُوحى بالله مُخلصى. لأنه نظر إلى اتضاع أمته. فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى".<sup>١</sup>

مَا عَرَفْتُ الْبَشَرِيَّةَ فِي جَمِيعِ الْأَجْيَالِ وَالْعُصُورِ. امْرَأَةٌ لَهَا كِرَامَتُهَا وَقُدْسِيَّتُهَا فِي قُلُوبِ الْمَلَائِكِينَ مِنَ الْبَشَرِ كَالْقُدْسِيَّةِ الْعَذْرَاءِ مَرِيَمَ أُمِّ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَمَا كَانَتْ فِي قُلُوبِ النَّاسِ لَا تَعَادِلُهَا امْرَأَةٌ أُخْرَى بَيْنَ النِّسَاءِ. هُنَاكَ عَظِيمَاتٌ وَلَكِنْ مَنْ كَمَرِيَمَ الْعَذْرَاءِ فِي عَظَمَتِهَا؟. إِنْ مَا يَرِيدُ عَلَى نِصْفِ سُكَّانِ الْعَالَمِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِإِحْلَامٍ وَإِكْبَارٍ وَحُبٍّ وَتَقْدِيرٍ بِلَا مِثِيلٍ وَهِيَ بِهِ جَدِيرَةٌ. هِيَ الْفَرِيدَةُ الَّتِي أَجْمَعَتْ الْأَجْيَالُ عَلَى تَطْوِيبِهَا. وَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ بَجْهَلٍ أَفْرَطُوا وَغَالُوا فِي نَظَرِيَّتِهِمْ إِلَيْهَا إِلَى دَرَجَةٍ تَقْرُبُ مِنَ الْعِبَادَةِ. وَبَعْضٌ آخَرَ بَجْهَلٍ أَحْجَمُوا وَتَحَذَرُوا مِنْ وَضْعِهَا الْوَضْعَ اللَّائِقَ بِهَا. خَشْيَةٌ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ وَضَعُوا لِأَنْفُسِهِمْ إِلَيْهَا آخَرَ غَيْرَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ. وَلَكِنْ مَنْ أَفْرَطُوا وَمَنْ تَحَذَرُوا لَا يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ فَاخْتِلَافُ الرَّأْيِ مِنْ شَيْمِ الْبَشَرِ وَيَكْفِي أَنَّهَا مُطَوَّبَةٌ فِي قُلُوبِ الْجَمِيعِ.<sup>٢</sup>

لَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ لُوقَا الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ: أَنْ زَكَرِيَّا كَانَ كَاهِنًا وَامْرَأَتُهُ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ كَانَتْ نَسِيئَةً مَرِيَمَ الْعَذْرَاءِ. وَزَكَرِيَّا وَأَلِيصَابَاتُ كَانَا بَارَيْنِ أَمَامَ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ. إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا وَكَانَا كِلَاهُمَا مُتَقَدِّمِينَ فِي أَيَّامِهِمَا. ظَهَرَ مَلَاكُ الرَّبِّ لَزَكَرِيَّا فِي الْهَيْكَلِ فَاضْطَرَبَ بِخَوْفٍ. فَقَالَ لَهُ الْمَلَاكُ: لَا تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا لِأَنَّ طَلِبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَسْمِيهِ يُوحَنَّا. فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلَاكُ: كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا لِأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا. فَأَجَابَ الْمَلَاكُ وَقَالَ لَهُ: أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قَدَامَ اللَّهِ. وَأُرْسِلْتُ لِأَكْلِمِكَ وَأَبَشْرِكَ بِهَذَا. وَهَذَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا لِأَنَّكَ لَمْ تَصَدِّقْ كَلَامِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ.<sup>٣</sup>

وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلَاكُ مِنَ اللَّهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةَ. إِلَى عَذْرَاءٍ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرِيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلَاكُ وَقَالَ: "سَلَامٌ لَكَ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا. الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتَ فِي النِّسَاءِ". فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلَامِهِ وَفَكَرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ. فَقَالَ لَهَا الْمَلَاكُ: لَا تَخَافِي يَا مَرِيَمُ. لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ وَهِيَ أَنْتَ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَسْمِيَنَّهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى. فَقَالَتْ مَرِيَمُ لِلْمَلَاكُ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟. فَأَجَابَ الْمَلَاكُ وَقَالَ لَهَا: "الرُّوحُ الْقُدُّوسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَنْظِلُكَ. فَبِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ". فَقَالَتْ مَرِيَمُ: هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ. فَضَمِي مِنْ عِنْدِهَا الْمَلَاكُ. وَبِتَأْمَلِنَا فِيمَا جَاءَ عَنِ الْقُدْسِيَّةِ الْعَذْرَاءِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. نَكْتَشِفُ صِفَاتٍ فِي شَخْصِيَّتِهَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَحْرُسَ عَلَى اِكْتِسَابِهَا وَالتَّحَلِّيِ بِهَا. وَنُوجِزُهَا فِي خَمْسٍ.<sup>٤</sup>

أولاً: قلب مريم المتضيق المؤمن المتمسك بالرب.. قد شهد بذلك الملاك جبرائيل حين جاء إليها قائلاً لها: مباركة أنت في النساء. ولكن: ما سر هذه البركة؟ أوضحته مريم عندما قامت بزيارة أليصابات نسيبتتها معطية المجد لله وقالت عن نفسها: لأن الرب نظر إلى اتضاع أمته. وأشارت أليصابات إلى إيمان مريم وطوبتها قائلة لها: طوبى لتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب. لقد حدث موقف مماثل أن الملاك حين جاء ليُبشِّرَ زكريا بأن امرأته أليصابات ستلد له ابناً وتسميه يوحنا. قال زكريا للملاك: "كيف أعلم هذا لأنني أنا شيخ وامرأتي متقدمة

<sup>١</sup> إنجيل لوقا ١: ٤٦ - ٤٨

<sup>٢</sup> إنجيل لوقا ١١: ٢٧ - ٢٨

<sup>٣</sup> إنجيل لوقا ١: ٥ - ٢٥

<sup>٤</sup> إنجيل لوقا ١: ٢٦ - ٣٨

في أيامها؟". أما مريم فأجابته بقولها: "هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك". كان موقف زكريا غير مقبول لدى ملاك الرب لذلك قال له الملاك: لأنك لم تصدق كلامي الذي سيقم في وقتي. ها أنت تكون صامتاً إلى اليوم الذي يكون فيه هذا. إن الإيمان يجعل القلب متضعاً منكسراً أمام الله. وإذا انكسر قلب الإنسان صدق كلام الله الذي سيقم في وقتي. وإن استحال قبوله بالذهن البشري الذي لا يستوعب ما يحتاج إلى قبوله بالإيمان والإيمان وحده.<sup>١</sup>

ثانياً: نفس مريم المعظمة الممجدة للرب.. عندما قامت العذراء مريم بزيارة أليصابات نسيبتها طويت أليصابات القديسة العذراء لإيمانها. فأجابت مريم بالقول: "تعظم نفسي الرب". حين تفتتح عيناً الإنسان على عظمة الله كلى القدرة والسلطان والجلال. يدرك أنه ليس من كرامة تعادل كونه عبد الرب. لقد قالت مريم للملاك: هوذا أنا أمة الرب. وقالت أمام أليصابات: لأنه نظر إلى انضاع أمته. حينما ننظر إلى ذواتنا أننا عبيد لله نستطيع أن نمجد الله في عظمتيه. بهذا نحصل على ما حصلت عليه مريم: سلام الله ونعمته ومعينته وبركته. لقد قال الملاك لها: "سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك. مباركة أنت في النساء". إن مفتاح باب السماء بين يدي من بخشوع يتدلل وينكسر ويتواضع أمام رب السماء "لأن الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيه نعمته".<sup>٢</sup>

ثالثاً: رُوح مريم المُبتهجة بخلص الرب.. لقد عرفت مريم العذراء حاجتها إلى الله كمخلص. فأجابت أليصابات نسيبتها مُعبّرة عن بهجة رُوحها بخلص ربها إذ قالت: "وتبتهج رُوحى بالله مُخلصي". إن خلاص الرب هو سرُّ البهجة الحقيقية والفرح الحقيقي. قال داود النبي في مزموره الحادي والخمسين: رد لي بهجة خلاصك. إن للخلص بهجة دائمة تستمر وتبقى معنا إلى الأبد. إن اسم يسوع معناه المُخلص. ولقد قال الملاك ليوسف حين ظهر له في حلم: لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حل به فيها من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. كما أن سمعان الشيخ الذي كان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب حين أتى بالروح إلى الهيكل أخذ الصبي يسوع على ذراعه وقال: الآن تطلق عبدك يا سيدي حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتنا خلاصك الذي أعددتته قدام وجه جميع الشعوب.<sup>٣</sup>

رابعاً: مريم أكبر شريك في الأم الرب.. مكتوب: "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله". ولقد بدأت العذراء سيرها في طريق الآلام بعد أن بشرها الملاك بزمن قليل. لقد أراد يوسف تخليتها سراً حتى ظهر له ملاك الرب في حلم وأعلمه الحقيقة. ما كان سهلاً أن ترى ابنها الطفل مقمطاً مضجعا في مزود يحيطه القش من كل جانب. إذ لم يكن لهما موضع في المنزل وما توفر لها وليوسف مال ليحداً مكاناً مناسباً. لقد تنبأ سمعان الشيخ في الهيكل بقوله لها: "وأنت أيضاً تجوز في نفسك سيفاً". ولقد جازت طعنة موجعة في صميم فؤادها وهي تنظر بعين دامعة إلى الجندي الروماني يطعن بحربة جنب يسوع على الصليب.<sup>٤</sup>

خامساً: مريم تحفظ متفكرة في كلام الرب.. يسجل لوقا البشير في إنجيله هذه العبارة: "وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها". وفي مناسبة أخرى كتب لوقا البشير عن مريم ويوسف قائلاً: "فلما يفهما الكلام الذي قاله لهما. ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة. وكان خاضعا لهما. وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها. وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمه عند الله والناس". لقد جاء الوقت الذي فيه فهمت مريم ما حفظته وسردته على تلاميذ الرب. وبكل تأكيد استعان البشرون بالقديسة العذراء مريم في كتابة تفاصيل أحداث تلك القديسة المطوبة. لبتنا ننتفع بالمكتوب. لأن "كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا".<sup>٥</sup>

عزيزي القارئ: أدعوك لتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرُك من أجل المكتوب أسألك نعمته وحكمة لأتعلم من سير قديسيك الذين سبقونا إلى المجد.. وفي مقدمتهم أم يسوع.. المرأة التي جميع الأجيال تطوبها.. أرفع صلاتي في اسم يسوع.. متكللاً على وعدك الصادق.. يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

<sup>١</sup> إنجيل لوقا ١: ٣٨ & ٤٨ & ٤٥ & ١٨ - ٢٠، الرسالة إلى العبرانيين ١١: ١

<sup>٢</sup> إنجيل لوقا ١: ٣٨ & ٤٦ & ٤٨، رسالة يعقوب ٤: ٦

<sup>٣</sup> إنجيل لوقا ١: ٤٦، سفر المزمير ٥١: ١٢، إنجيل متى ١: ٢١، إنجيل لوقا ٢: ٣٠

<sup>٤</sup> رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ١: ٢٩، إنجيل متى ١: ١٨ - ٢٤، إنجيل لوقا ٢: ١٢ & ٣٥، إنجيل يوحنا ١٩: ٣٤

<sup>٥</sup> إنجيل لوقا ٢: ١٩ & ٥٠ - ٥٢، سفر المزمير ١١٩: ١١، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١٥: ٤